المجلس (٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛

فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يا معاشر الفُضَلاء؛ يا من أكرمكم الله عَزَّوَجَلَّ، فكنتم عُمَّارًا لمسجد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اشكروا الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ هٰذِه النعمة، واغتنموها فيما يقرِّبكم إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، اعمروا المسجد بِالصَّلَاةِ فيه، فإنَّ صلاة في مسجد رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، إِلَّا المسجد الحرام، اعمروا المسجد بطلب العلم فيه؛ فإنَّ طلب العلم في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه ما في طلب العلم في غيره مع زيادةٍ لطالب العلم في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أتى إِلَىٰ

مسجد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يريد إِلَّا أن يتعلَّم خيرًا أو يعلِّمه؛ موعودٌ بأن يفوز بأجر الحاجِّ الَّذِي تمَّ حجه، وأن يفوز بأجر المجاهد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، فسدّدوا وقاربوا واعملوا، وأبشروا، وأحسن الظَّنّ بربكم لعلكم تفلحون.

معاشر الفُضَلاء؛ إنَّ الأحداث الَّتِي تمرُّ بِالأُمَّةِ، والأزمات الَّتِي تمر بها الأُمَّة لا تزيدنا إِلَّا يقينًا من أمرين عظيمين كريمين:

⇦ **أما أَحَدُهُمَا فهو**: أنَّ الَّذِي يُصْلِح هٰذِه الأُمَّة هو السير عَلَىٰ منهج السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، فمنهج السَّلَف الصَّالح فيه الأمان والهداية، فيه السلامة، فيه أن يلزم العبدُ صراط ربه المستقيم، فيه أن يحقِّق العبد الوسطيَّة الَّتِي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ لأمة مُحَمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، منهج سلفنا الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم فهي الثبات، وفيه الهدى، وفيه التُّقى؛ ولذلك ينبغي علينا معاشر المؤمنين أن نتعلَّم منهج السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم؛ لنلزم هٰذَا المنهج، لنلزم هٰذَا النور المبين، وعَلَىٰ طُلَّاب العلم أن يعلّموا النَّاس منهج السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، وأن يدعوا النَّاس إِلَىٰ هٰذَا المنهج الرشيد.

⇦ **وَأَمَّا الأمر الثَّانِي فهو**: حاجة النَّاس العظمى إِلَىٰ العلم النَّافِع، فَالنَّاسُ يحتاجون إِلَىٰ العلم النَّافِع أعظم من حاجتهم إِلَىٰ الطعام والشراب، بل وَإِلَىٰ الهواء، العلم النَّافِع فيه الدلالة عَلَىٰ صراط الله المستقيم، وبه الثبات عَلَىٰ صراط الله المستقيم بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وعونه وتوفيقه، فما أحوج الأُمَّة إِلَىٰ علماء يعلِّمون العلم النَّافِع، وَإِلَىٰ طلَّاب علمٍ يتعلمون العلم النَّافِع، وينشرونه في أمة مُحَمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقد ذكرت مرارًا وتكرارًا: أنَّ الإنسان حَتَّىٰ يكون بصيرًا في الحوادث والنوازل لَا بُدَّ له من أن ينظر إليها بأربعة عيون:

⇦ **أما العين الأُولَىٰ**: فهي عين العاطفة الرشيدة؛ فإنَّ المسلم لا ينبغي أن يكون قاسي القلب، لا ينبغي أن يكون غليظًا فظًّا، لا يتأثَّر بأحداث المسلمين، ولا بما يقعُ للمسلمين، بل ينبغي أن يكون ذا عاطفة، وَهٰذِه العاطفة ينبغي أن تكون رشيدة؛ لأنَّ العاطفة إن لم تُرشَّد فإنها قد تعصف بصاحبها إِلَىٰ الزَّلل عن الصراط المستقيم.

وَأَمَّا العين الثَّانِية: فهي عين العقل السليم؛ فإنَّ الإنسان بحاجة إِلَىٰ ضبط أموره بعقلٍ سليم، يُدرِك به المصالح والمفاسد، وحدود الأمور، حَتَّىٰ لا يزل متأثرًا بعاطفته.

وَأَمَّا العين الثَّالِثة: فهي عين العدل؛ فواجبٌ عَلَىٰ المسلم إذا نظر إِلَىٰ أمرٍ من الأمور أن ينظر بعدلٍ، وأن يجتنب الظُّلْم، أن ينظر بعدلٍ إِلَىٰ ما يؤيده ويرضاه، وأن ينظر بعدلٍ إِلَىٰ ما يخالفه ويأباه، لا يجوز الخروج عن العدل في أي أمرٍ من الأمور.

وَأَمَّا العين الرَّابِعة: فهي عين العلم النَّافِع؛ فالعلم النَّافِع بصيرة ونور، وتُضبط به هٰذِه الأمور الثلاثة، أعني: العاطفة، والعقل، والعدل.

- فمن نظر بهذه العيون الأربعة؛ نظر ببصيرة، وَهٰذَا يدعونا مشاعر المؤمنين إِلَىٰ أن ندعو أنفسنا وعموم المسلمين إِلَىٰ لزوم غرز العلماء الأكابر، وألَّا يتقدَّم الإنسان عليهم، فضلًا عن أن يسيء الظَّنّ بهم، أو يصفهم بأوصافٍ لا تليق بإنسانٍ عامِّي، فكيف بعلماء الأُمَّة الَّذِينَ هم حصنٌ لأمة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا البصيرة في دينه، وأن يجعلنا رحمةً عَلَىٰ أمة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ثُمَّ إنَّ درسنا معاشر الفضلاء كما أخبرناكم سابقًا في أيام هٰذَا الأسبوع -أعني: اليوم، وغدًا، ويوم الجمعة، ويوم السبت- سيكون في شرح "**كشف الشبهات**" لشيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وكذلك في يومي الأربعاء والخميس من الأسبوع القادم إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

نشرح هٰذَا الكتاب العظيم "**كشف الشبهات**" هٰذَا الكتاب الصغير في حجمه، الغزير في علمه، الخفيف في حمله، الثقيل في نفعه، هٰذَا الكتاب الَّذِي فيه حماية الحق، وحماية التَّوحِيْد من الشبهات الَّتِي قد ترد عَلَىٰ هٰذَا الباب.

وكنا قد شرحنا مقدمة الشيخ النفيسة لهذا الكتاب فيما مضى من دروسنا في شرح هٰذَا الكتاب، ونواصل في هٰذِه الدروس شرح ما سطره الإمام المجدِّد رَحِمَهُٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في هٰذَا الكتاب، فيتفضل الابن نور الدين -وَفَّقَهُ اللهُ والسامعين- يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِيْنَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ؛ أَمَّا بَعْدُ: فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قَالَ الإمامُ المُجَدِّدُ شيخُ الإسلامِ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته "كشف الشبهات":

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ - مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ - جَوَابًا لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا؛ فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

(الشَّرْحُ)

بعد أنْ فرغ الإمام المُجدِّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بأسلوبه البديع من تقرير المُقدَّمة الَّتِي يُعرف بها الحق في باب التَّوحِيْد، وتُدفع بها الشبهات دفعًا، وقد تضمنَّت المُقدَّمة أو المُقدِّمة، وكلاهما صحيح -كَمَا ذَكَرْنَا- أصولًا ثمانية نافعةً جِدًّا:

☜ **اَلْأَوَّل**: بيان معنى التَّوحِيْد.

☜ **وَالثَّانِي**: أنَّ المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يعرفون الله، وكانت لهم عبادات، غير أنهم جعلوا بينهم وبين الله وسائط؛ لتقربهم إِلَىٰ الله، فهم يتقربون إِلَىٰ الوسائط لتقربهم إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

☜ **والأصل الثَّالِث**: أنَّ المشركين في زمن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبية، وأنَّ الله هو الخالق الرزَّاق المُدَبِّر، وذلك لم يُدخلهم في التَّوحِيْد الَّذِي بُعث به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبُعثت به جميع الرسل.

☜ **والأصل الرَّابِع**: أنَّ المشركين كانوا متفرِّقين في عباداتهم، غير الله عَزَّوَجَلَّ، وقاتلهم النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعًا، فلم يكن جميع المشركين يعبدون الأصنام، بل كان منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ولم يفرِّق النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم، بل جعلهم جميعًا مشركين، وقاتلهم جميعًا.

☜ **والأصل الخَامِس**: أنَّ الإقرار بتوحيد الربوبية لا يُدخِل في الإسلام، ولا يعصم الأنفس.

☜ **والأصل السَّادِس**: معنى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» شرعًا، وما حصل عند بعض المسلمين من انحرافٍ في تفسيرها.

☜ **والأصل السَّابِع**: علامة صحة التَّوحِيْد: الخوف من الشِّرْك، والحرص عَلَىٰ البراءة منه.

☜ **والأصل الثَّامِن**: أنَّه لَا بُدَّ للموحدين من علمٍ يُقرَّر به الحق، ويُدفع به الباطل.

وقد تقدَّم بيان كل هٰذَا وتفصيله.

✍ **أقول**: بعد أن فرغ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هٰذِه المقدِّمة؛ شرع في الرد عَلَىٰ شبه المبطلين في باب توحيد العبادة، سائرًا عَلَىٰ طريقة القرآن الكريم، فبدأ بالرد المُجمل الَّذِي تُرد به جميع الشبهات، ولا تقف أمامه شبهة، ثُمَّ ذَكَرَ الرد المُفَصَّل، بحيث يذكر الشبهة، ثُمَّ يذكر الجواب عنها، وقد سار في هٰذَا عَلَىٰ أسلوبٍ مسلسل، يتصل بعضه ببعض.

إذًا لرد الشبهة هناك طريقان:

✓ **الطريق ٱلْأَوَّل**: الرد المُجمَل، وهو الرد العام الَّذِي يرد كل شبهة يوردها المخالف.

✓ **والطريق الثَّانِي**: الرد المُفَصَّل، وهو الَّذِي يقابل شبهةً بعينها.

وصاحب الحق يحتاج إن يعرف الرد المُجمل؛ ليرد به ما يورد عليه من أهل الباطل، وليسلم من شبههم، ولاسيما في زماننا هٰذَا، وفي أيامنا هٰذِه؛ فإنَّ أهل الباطل قد نشطوا في باطلهم، ينشرون الشبه بين النَّاس بمختلف الوسائل، فما أحوج صاحب الحق إِلَىٰ أن يعرف الرد المُجمَل؛ ليرد به الشبه، ويدفع به الشبهة عن نفسه، فإن زادت معرفته عن ذلك، بأن علم الرد المُفَصَّل أو بعضه؛ فذلك نورٌ عَلَىٰ نور، وقوة لتوحيده وإيمانه، وقوة لحجته عَلَىٰ مخالفيه.

ولذلك عَنَى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ببيان الرد المُجمَل وبيان الرد المُفَصَّل.

(المتن)

أَمَّا الْمُجْمَلُ: فَهُوَ الأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا.

(الشَّرْحُ)

قَالَ: (**أَمَّا الْمُجْمَلُ**) وَهٰذَا شروعٌ من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في بيان الرد المُجمل العام، الَّذِي يرد كل شبهة تورد عَلَىٰ التَّوحِيْد، بل عَلَىٰ الحقِّ كله، ذَكَرَ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هٰذَا الرد المُجمَل أصل الهداية العام، وأصل الضلال العام، وذلك أنَّ كل مهتدٍ وكل ضالٍّ من الفرق المخالفة لأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لَا بُدَّ أن يستدل بالقرآن، فمن صحَّ طريق استدلاله، وحَسُن قصده؛ اهتدى، ومن فسد قصده، وبطل طريق استدلاله؛ ضلَّ.

فَأَمَّا ٱلْأَوَّل وهو: أصل الهداية؛ فيكون بأمور:

⇦ **اَلْأَوَّل**: جمع الأَدِلَّة، فإنَّ جمع الأَدِلَّة يوضِّح معناها، ويدفع كل شبهةٍ قد ترد عَلَىٰ الذهن، فإنَّ القرآن لا يتناقض أبدًا، بل يشد بعضه بعضًا، ويشبه بعضه بعضًا، ويقوِّي بعضه بعضًا، فليس فيه اختلافٌ أبدًا؛ لأنَّه من عند الله العليم الحكيم الَّذِي لا يضل ولا ينسى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، فالقرآن كله يُشبه بعضه بعضًا، في حُسْن نظمه، وحُسْن دلالته، واستقامة معانيه.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١]، فالقرآن كله مُحكمٌ من حيث نظمه، فمن جمع الأَدِلَّة؛ اهتدى وعرف صحيح المعنى.

⇦ **وَالثَّانِي**: رد الدليل المحتمِل المعنى إِلَىٰ واضح المعنى، وتفسير المحتمِل بالواضح، وسيتضح لنا هٰذَا في كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي رده عَلَىٰ الشبه.

⇦ **وَأَمَّا الثَّالِث**: فهو الرجوع إِلَىٰ العلماء الربانيين الراسخين في العلم؛ لمعرفة الأَدِلَّة، ورأس أولئك وميزانهم صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فطالب الهداية بحاجةٍ عظيمة إِلَىٰ أن يرجع إِلَىٰ العلماء الراسخين، ولاسيما عند احتمال المعاني؛ ليتبيَّن له المعنى المراد من تلك المحتملات.

⇦ **ويسبق هٰذِه الأمور الثلاثة**: إرادة الحقِّ، وقصد الوصول إِلَىٰ الحق، فمن سلك هٰذَا الطريق؛ سلك طريق الهداية، من امتلأ قلبه بحبِّ الحقِّ وإرادة الحقِّ، وعلم الله منه الصِّدْق في أنه يريد الحقَّ، وسار عَلَىٰ هٰذَا الطريق؛ فإنه يهتدي بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

❐ **وَأَمَّا الثَّانِي** -وأعوذ بالله من الثَّانِي- **أعني: أصل الضلال**؛ فهو عكس اَلْأَوَّل، فيكون بأمور:

➢ **اَلْأَوَّل**: فصل الأَدِلَّة عن بعضها، فينتزع أحدهم دليلًا من الأَدِلَّة، ويستدل به، ولا يجمعه مع غيره من الأَدِلَّة، فيكون كالناظر إِلَىٰ جهةٍ واحدة، فلا يكون تصوره صحيحًا.

➢ **وَالثَّانِي**: ردُّ الدليل الواضح المعنى بالدليل المحتمل المعنى، والتلبيس به عَلَىٰ العامة.

➢ **وَالثَّالِث**: عدم الرجوع إِلَىٰ العلماء الربانيين الراسخين في العلم في فهم الأَدِلَّة عمومًا، وفي فهم المحتملات منها خصوصًا.

➢ **ويسبق هٰذِه الثلاثة**: إرادة الفتنة في القلب، وإرادة تأويل الدليل إِلَىٰ ما يوافق مراده؛ ولذلك يقرِّر العلماء: أنه ما من حجةٍ يحتجّ بها مبطلٌ عَلَىٰ باطله إِلَّا وهي في حقيقتها حجةٌ عليه، فلو أنَّ المُبطِل أعطى الحجَّةَ حقها -كما تقدم في طريق الهداية-؛ لكانت دالَّةً عَلَىٰ الحقِّ، رادَّةً له عن الباطل، فتدله عَلَىٰ الحقِّ، وترده عن الباطل، وكذلك الحجج العقلية الَّتِي يحتج بها المخالفون لأهل التَّوحِيْد، لأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، لو بُيِّنت ومُيِّز ما فيها من حقٍّ وباطلٍ؛ لكانت دالَّةً عَلَىٰ الحقِّ، ودامغةً للباطل.

وبالتالي؛ فإنَّ المُناظِر من أهل التَّوحِيْد وأهل السُّنَّة لمن يخالفه من أهل الفرق يستطيع أن يعكس دليل الخصم عليه، ويجعل دليل الخصم عليه لا له، ويبيِّن بطلان قول مخالفه بحجة مخالفه.

قَالَ: (**فَهُوَ الأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا**) نعم إنه لأمرٌ عظيم، وإنها لفائدةٌ كبيرة لمن فهمها؛ لأنَّها في أصل الطريق الموصل، فإذا عرفها الموحِّد؛ فإنه يستطيع أن يرد بها كل شبهة يوردها مخالف عليه، فالقاعدة الشَّرْعِيَّة: أنَّ الموحِّد يحذر من الشبهات أصلًا، فلا يسمح بوصولها إِلَىٰ سمعه، ولا إِلَىٰ قلبه، بل يحذر من ذلك، فإن وصلت إليه؛ فإنه يردها بهذا الرد الجمل الَّذِي يبيِّنه الشيخ، وهو ردٌّ عظيمٌ نافعٌ دامغٌ للباطل، مسقطٌ للشبه.

(المتن)

أَمَّا وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَـابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

(الشَّرْحُ)

أي: أنَّ هٰذَا الرد المُجمَل العظيم موجودٌ في كلام ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الَّذِي بيَّن فيه طريق أهل الحقِّ، وطريق أهل الزَّيغ، حيث قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: منه آياتٌ متضحات المعنى، هُنَّ أصل الكتابِ الَّذِي يُردّ إليه غيره من الآيات، كما أنَّ الأم أصل الولد، وَالَّتِي يرجع إليها ولدها عند الحاجة.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي: من القرآن آياتٌ أُخر ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾ غير متضحات المعنى، إِمَّا لعدم استبانة المعنى، وَهٰذَا يقع لبعض العلماء دون بعض، ويقع للعالم في وقتٍ دون وقت، لا يستبين

معنى الآية، وَإِمَّا لاحتمال المعنى من جهة اللَّفْظ والتركيب، لا من جهة مراد رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالمُحكمات من القرآن فيهن حجةُ الْرَّبِّ، وعصمةُ العَبْدِ، وإيضاحُ الحقِّ، ودفعُ الباطلِ، والمتشابهات يحتملن المعنى، فيحتملن عدة معاني من جهة ألفاظها.

والحكمة من ذلك: أن يبتلي الله عَزَّوَجَلَّ بهنَّ العِباد؛ ليستبين أهل الحقِّ من أهل الزَّيغِ، فإنَّ أهل الزَّيغِ يستدلون بالمتشابه من أجل تقوية الأهواء، وأهل الحقّ يستدلون بالمحكمات من أجل معرفة الحقِّ، وبيان الحقِّ.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: أنهم قبل النظر والاستدلال زاغت قلوبهم وضلَّت، وابتعدت عن الحقِّ، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي: أنهم يستدلون بالمتشابه عَلَىٰ أحد محتملاته، ويردون به المُحكم، ولا يردونه إِلَىٰ المحكم ليتضح لهم معناه، وَهٰذَا حال كل مبطلٍ، ولذلك قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي: طلبًا للفتنة الَّتِي في قلوبهم، حيث زاغت قبل النظر والاستدلال، وطلبًا لإضلال العامة، وإيهامهم أنَّ القرآن يدل عَلَىٰ قولهم الباطل.

وَهٰذَا يا معاشر الفضلاء ملازمٌ لكل من زاغ عن الحقِّ، وذهب يستدل لزيغه، وأول من عُرف بهذا: الخوارج، أول من عُرف بهذا ممن انتسب إِلَىٰ الإسلام: الخوارج، فإنهم يحتجون بالقرآن، يحسبون أنه لهم، وهو عليهم؛ لأهم أهل زيغٍ، لأنهم أهل ضلالةٍ، لا يبتغون بالاستدلال إِلَّا الفتنةَ، وَهٰذَا كما يقول العلماء: وصفٌ ملازمٌ لكل زائغ، ولو قَالَ: أنا لا أريد الفتنة؛ فإنَّ الوصف الملازم له أنه مريدٌ للفتنةِ.

﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: طلبًا لحمله عَلَىٰ المعنى الَّذِي يوافق هواه، لا طلبًا لمعرفة معناه، ولا طلبًا لمعرفة ما يدلُّ عليه حقيقةً.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ لقد اختلف السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم في الوقف هنا: هل هو عَلَىٰ لفظ الجلالة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾، أو هو عَلَىٰ ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؟

وأكثر السَّلَف عَلَىٰ أنَّ الوقف عَلَىٰ لفظ الجلالة، وَهٰذَا كما بيَّن المحقِّقون من أهل العلم اختلاف تنوُّع مبني عَلَىٰ المراد بالتأويل هنا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾:

إن أُريد بالتأويل حقيقة الشَّيْء ومآله وعاقبته؛ فإنَّ الوقف يكون عَلَىٰ لفظ الجلالة، فإنَّ كُنْهَ الشَّيْءِ وحقيقتَهُ ومآلَهُ وعاقبتَهُ إِنَّمَا يعلمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإذا أريد بالتأويل فهم المعنى وفهم المراد؛ فيكون الوقف عَلَىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فِي الْعِلْمِ﴾؛ لأنَّ الراسخين في العلم يفهمون معاني القرآن، نعم قد يغيب المعنى عن بعض العلماء، لكن لا يغيب عن كل العلماء.

وإذا كان هناك شيءٌ لم يفهم العلماء معناه؛ فهو يسيرٌ لا أثر له، وهو الموجود في الحروف المقطعة في أوائل السور، فإنَّ أكثر أهل العلم في التفسير يقولون عندها: "**اللهُ أَعْلَمُ بمرادِهِ منها**"؛ فَهٰذَا شيءٌ يسير لا يترتب عليه شيء، وَأَمَّا المعاني الَّتِي تترتب عليها العقيدة، ويترتب عليها العمل؛ فإنَّ العلماء يعلمونها، ويتفاوتون في العلم بها، والراسخون في العلم هم أولى النَّاس بالعلم بها.

وبهذه الآية العظيمة يتضح طريق أهل الزَّيغِ في الاستدلال، وطريق أهل الهدايةِ في الاستدلال، وبهذا الطريق يُعلم صاحب الحقِّ عمومًا، والموحِّد خصوصًا، ويعلم صاحب الحقِّ والموحِّد كيف يرد استدلال المبطلين عَلَىٰ باطلهم، وهو في حقيقته شبهة، وليس دليلًا بأن يقول: إنَّ هٰذَا من المتشابه، فعليك أن ترده إِلَىٰ المُحكم، لا أن ترد المحكم به.

فَهٰذَا الرد المُجمل لكل شبهةٍ يُدلي بها مخالفٌ للتَّوحِيْدِ ولأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

(المتن)

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

(الشَّرْحُ)

هٰذَا الحديث في "**الصحيحين**"، رواه البخاري ومسلم، وهو يدلُّ عَلَىٰ أنَّ الاحتجاج بالمتشابه ورد المُحكم به؛ علامةٌ عَلَىٰ زيغ القلبِ، وعلامةٌ عَلَىٰ أهلِ الزَّيغِ والضَّلالة، فالمتعيِّن عَلَىٰ المهتدي الموحِّد: أن يحذر أولئك، وألَّا يسلمهم سمعه، ولا قلبه، بل يدفع كلامهم من أن يصل إليهم ما استطاع، فإن وصل إليه شيءٌ من باطلهم؛ فإنَّه يرده بهذا الجواب المُحكم المُجْمَل العام، ثُمَّ لا يجادلهم، ولا يخوض معهم، إِلَّا إذا كان عنده علمٌ عَلَىٰ سبيل التفصيل.

فمعنى قول النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فَاحْذَرُوهُمْ» أي: إذا رأيتم الَّذِينَ يقصدون المتشابه، ويستدلون به، ويجادلون به؛ فاعلموا أنهم أهل زيغٍ وضلالة، فلا تجالسوهم، ولا تكلموهم، ولا تستمعوا إليهم، ولا تصغوا إليهم، فإن وصل إليكم شيءٌ من باطلهم؛ فردوه عن قلوبكم بهذا الرد المُجمَل، وبلزوم غرز العلماء الربانيين الراسخين في العلم.

وفي هٰذَا الحديث تنبيه لطيف لأهل العلم بعدم جواب كل من يسأل عن الشبهات، أو ما يثير الفتن، بل يُنظر في حال السَّائِلُ.

- فإنْ ظهر من حاله أنه من أهل الزَّيغِ، وممن يبتغون الفتنة وتفريق الصفِّ، وإضلال النَّاس؛ فإنه لا يُجاب، بل يُحذر، ويُقهر، ويُنهر، ويُغلَّظ عليه، ويُهان، ويُعزّره السلطان، كما كان السَّلَف الصَّالح رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم يفعلون من زمن الصَّحَابَة فمن بعدهم رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم.

- أما إن ظهر من حاله أنه مسترشدٌ، يريد الحقَّ؛ فإنه يُتلطَّف به، ويُترفَّق به، ويُجاب جوابًا يناسب حاله، ويناسب فهمه.

وَهٰذَا تنبيه لطيف عظيم النفع، أخذه العلماء من هٰذَا الحديث، وما أحوج الشيوخ إِلَىٰ التَّنَبُّهُ إِلَىٰ هٰذَا الأمر، فليس كل سائلٍ يريد الحقَّ، ليس كل سائلٍ يريد الخير لأمة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بل السائلون كالمستدلين، منهم من يريد الحقَّ، ويريد الهدايةَ، ومنهم من هم أهل زيغٍ يبتغون الفتنة، ويتصيدون الكلام من العلماء لإظهار الفتن، وتفريق الصفوف، ونشر الباطل، فينبغي عَلَىٰ من رزقه الله شيئًا من العلم، وقصده النَّاس؛ أن يحذر من أهل الزَّيغ الَّذِينَ يبحثون عن المتشابه حَتَّىٰ في كلام العلماء، ويبتغون الفتنة، نعوذ بالله من سوء الحال!

(المتن)

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢]، أَوْ إِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، أَوْ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ شيء من بَاطِلِهِ وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ.

فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ، وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ. وَمَا ذَكَرْتُه لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ، أو

الأَنْبِيَاءِ، أو الأَوْلِيَاءِ مَع قَوْلِهِمْ: ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ.

وَمَا ذَكَرْتَه أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِن الْقُرْآنِ، أَوْ كَلاَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلاَمَ اللهِ لاَ يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلاَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يُخَالِفُ كَلاَمَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

(الشَّرْحُ)

ضرب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مثالًا لإعمال هٰذَا الجواب المُجمَل في ردِّ شبهات المبطلين عَلَىٰ التَّوحِيْد، وهو: أنه إذا أورد عليك مخالفك في التَّوحِيْد شبهة، فَقَالَ لك: إنك تقول: إن سؤال الأولياء والأنبياء والاستغاثة بهم شركٌ بربنا، وربُّنا سُبْحَانَهُ يقول: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]، ثُمَّ قَالَ لك: إنَّ هٰذِه الآية تدلُّ عَلَىٰ أنَّ الأولياء لهم جاهٌ عظيمٌ عند الله، ومنزلةٌ عظيمة عند الله، وقد ثبت أنَّ الشَّفَاعَة حقٌّ، فنحن نستشفع بالأولياء لمنزلتهم عند الله، فكيف تمنعنا من ذلك؟ وكيف تنعتنا بأنَّا من المشركين؟

وَهٰذِه الشبهة يا إخوة سيأتي ردها تفصيلًا، لكن المراد هنا: بيان ردِّها ردًّا مجملًا، بحيث يكون الجواب من الموحِّد: إنَّ ما أنا عليه من التَّوحِيْد ووجوب صرف العبادة كلها لله محكمٌ، قد دلَّت عليه الآيات المحكمات البَيِّنَات، وما تذكره أنت متشابهٌ، فإنه تذكر شيئًا ليس في الآية، وأنا أومن بالكل من عند ربي، وأومن بمقام الأولياء، وكرامتهم عند الله عَزَّوَجَلَّ، لكنَّ كون ذلك يقتضي سؤالهم، ودعاءهم، والاستغاثة بهم؛ هٰذَا متشابهٌ يجب رده إِلَىٰ المحكم، لا رد المُحكم به، ويجب عليك أن تفزع إِلَىٰ العلماء الراسخين الربانيين العارفين بِالتَّوحِيْدِ، ليبينوا لك الحقَّ، وَإِلَّا كنت من أهل الزَّيغ الَّذِينَ ذكرهم الله.

وقول الشيخ: (فَجَاوِبْهُ...) إِلَىٰ قوله: (وَمَا ذَكَرْتَه أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِن الْقُرْآنِ، أَوْ كَلاَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ) المراد به: لا أعرف تفصيل الكلام الَّذِي تذكره أنت، لكني عَلَىٰ يقينٍ أنه لا يدل عَلَىٰ ما ذكرت، وأنَّ الواجب عليك: ردُّ المتشابه إِلَىٰ المُحكم، والرجوع إِلَىٰ العلماء الراسخين في العلم، فإني أقطعُ أنَّ الَّذِي أستدلُّ به من كلام الله مُحكَمٌ، وأنَّ الَّذِي تستدلّ به من كلام الله متشابه، وأنا أومن أن الكل من كلام الله، وأنَّ كلام الله لا يختلف، وأنَّ كلام الله لا يتناقض، وأنَّ الوحي كله

سواءً كان كتابًا أو سنة لا يختلف ولا يتناقض، وَهٰذَا يدلّ دلالةً بيِّنة عَلَىٰ أنَّ المعنى الَّذِي تذكره غير صحيح.

ثُمَّ قِفْ أَيُّهَا الموحِّد، ولا تجادله، ولا تخض معه في نقاش، إن كنت لا تعلم التفصيل، أما إن كنت تعلم التفصيل؛ فأضِف إِلَىٰ الجواب المُجمَل الجواب المُفَصَّل.

ثُمَّ قِسْ عَلَىٰ هٰذَا المثال بقيَّة الشبه، كيف تردها بهذا الجواب المجمَل المحكم العام الَّذِي تدفع به الباطل عن نفسك وعن غيرك، وترد به الشبهة.

(المتن)

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلكِنْ لا يَفْهَمُهُ إلاَّ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ ولا تستهن به؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت: ٣٥].

(الشَّرْحُ)

أي أنَّ هٰذَا الجواب المُجمَل عن الشبه جيِّدٌ؛ لأنه يتعلَّق بسدِّ الطريق أصلًا، سديدٌ سادٌّ الطريق عَلَىٰ المبتدع، حَتَّىٰ لا يصل إِلَىٰ قلبك، ولا إِلَىٰ قلب غيرك، ولكن لا يفهمه إِلَّا من وَفَّقَهُ اللهُ، ليست العِبْرَة بالأسباب، وَإِنَّمَا الأسباب طريق، وَإِنَّمَا العِبْرَة بتوفيق الله، بهداية الله، كم من شخصٍ حصلت له هداية البيان عَلَىٰ أكمل ما يكون بأن سمع البيان من رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن ما حصلت له هداية التَّوْفِيْق، فضل وعمي، هٰذَا أبو لهب عم رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف صدقه، ويعرف أمانته، ويعرف فصاحته، سمع البيان من رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن لم يهدِه الله هداية التَّوْفِيْق، فضلَّ وغوى، وكان من أهل النَّار مذمومًا في الدنيا إِلَىٰ قيام الساعة بسورة تُتلى فيه، مُعذَّبًا يوم القيامة، نعوذ بالله من سوء الحال!

ولذلك ينبغي للعبدِ مع بذهل الأسباب: أن يُسلِّم قلبه لله عَزَّوَجَلَّ، وأن يسأل الله دائمًا الهداية؛ ولذلك نحن مأمورون بأن نسأل اللهَ الهداية في اليوم والليلة سبع عشرة مرة أو أكثر، بأن نقرأ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، دُلّنا ووفِّقنا وثبِّتنا عَلَىٰ الصراط المستقيم؛ ولذلك يا عبد الله لا تعتمد عَلَىٰ علمٍ، ولا تعتمد عَلَىٰ ذكاءٍ، وَإِنَّمَا هٰذِه أسباب، وَإِنَّمَا اعتمد بقلبك عَلَىٰ ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أكثر من الدُّعَاء مع بذل هٰذِه الأسباب، أن يفهمك الله، وأن يوفقك الله، وأن يدفع عنك الباطل، احرص عَلَىٰ هٰذَا الأمر العظيم.

ثُمَّ لا تستهِن بهذا الجواب المُجمل؛ فإنه من القرآن مأخوذ، وإنه والله لعظيم، عظيم في ذاته، عظيم في أثره، فإنَّه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾، لا يوفَّقُ لهذا إِلَّا صاحب حظٍّ عظيمٍ.

والله إنَّ الموحِّد صاحب حظٍّ عظيمٍ، حيث وَفَّقَهُ اللهُ إِلَىٰ هٰذَا الأمر العظيم، وينبغي عليه أن يكون ذا صبرٍ عظيم، ولاسيما في أيامنا، وأنَّ من وفَّقه الله لمعرفة الجواب المُجمَل عن الشبهات الَّتِي تورَد عَلَىٰ الحقِّ عمومًا، وعَلَىٰ التَّوحِيْد خصوصًا؛ فقد أتاه الله خيرًا عظيمًا، وكان صاحب حظٍّ عظيمٍ.

لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة، ونشرع من الغد إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في الجواب المُفَصَّل عن الشبهات.

لعلنا نجيب عن شيء من الأسئلة.

الأسئلة

السؤال: جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا، وَبَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، ونفعنا الله بما سمعنا! أحسن الله إليكم! يقول: من يسكن بين مكة وذي الحليفة هل يُحرم من الميقات أو من بيته إذا أراد العمرة؟

الجواب: من كان ما بين ميقات ذي الحليفة ومكة، يعني: ما وراء الميقات من جهة مكة، فهو أقرب إِلَىٰ مكة من ذي الحليفة من أين يُحرِم؟ هل يُحرم من بيته أو يُحرم من ميقات الجحفة أو محاذاة ميقات الجحفة لأنه سيمر بها في الطريق؟

هنا يقول العلماء: إذا كان هٰذَا الرجل أو هٰذَا المسلم في طريق الحاج وفي طريق المعتمرين، ويسير مع طريقهم؛ فإنه يُحرِم من مكانه، بمعنى: لا يلزمه أن يرجع إِلَىٰ ذي الحليفة، ولا يُحرِم إذا حاذى الجحفة، بل يُحرم من مكانه، فمن كان مثلًا في أبيار الماشي، ما يلزم أن يرجع إِلَىٰ ذي الحليفة، ولا يُطلب منه هٰذَا، ولا يذهب بثيابه حَتَّىٰ يحاذي الجحفة، بل يُحرم من مكانه من آبار الماشي، وهكذا.

أما إن كان لا يسير في طريق الحاج، بل يسير في الطريق الأخرى من المدينة إِلَىٰ مكة، وليست هي الطريق الَّتِي يسلكها الحجاج والمعتمرون؛ فَهٰذَا له أن يُحرم من بيته، وله أن يُحرم من الجحفة.

مثلًا يا إخوة: اليوم عندنا طريقان من المدينة إِلَىٰ مكة، الطريق السريع الطريق المُسمى بـ"**الهجرة**"، وَهٰذَا الَّذِي يسلكه العمَّار والحجَّاج غالبًا هٰذِه الأيام، من كان عَلَىٰ هٰذَا الطريق يُحرم من مكانه ممن تجاوز أو كان خلف ذي الحليفة إِلَىٰ جهة مكة.

وعندنا الطريق الأخرى الَّتِي تُسمى: "**طريق مكة القديم**" الَّتِي تمر بفريش، والمسيجيد، وبئر الروحاء، وبدر، هٰذِه غالبًا اليوم لا يسلكها العمَّار، فمن كان من أهل هٰذِه القرى يمكن أن يُحرم من بيته، ويمكن أن يُحرم إذا وصل إِلَىٰ الجحفة، يعني: يجوز له أن يؤخر إحرامه حَتَّىٰ يصل إِلَىٰ الجحفة.

السؤال: أحسن الله إليكم! هٰذِه امرأة تقول: أنَّ زوجها ماله كله حرام من تجارة المخدرات، وطلبت الطَّلَاق وتسأل عن نفقته عَلَىٰ ابنتها من ماله الحرام، تقول: علمًا بأنه ليس عندها أي مصدر للمال، وابنتها من ذوي الاحتياجات الخاصة.

الجواب: بالنسبة للحقوق الواجبة، كَالنَّفَقَةِ الواجبة؛ فإنَّ الإنسان إذا استطاع أن يستغني عن الحرام؛ فَهٰذَا خيرٌ له، فإذا كان يستطيع أن يُنفق عَلَىٰ نفسه من غير الحرام؛ فَهٰذَا خيرٌ له، لكنه ليس بلازمٍ واجب عليه، وإن كان لا يستطيع؛ فلا حرج عليه من أن يستوفي حقه ممن يجب عليه هٰذَا الحق، ولو

كان ماله حرامًا إِلَّا في حالةً واحدة: إذا كان لا يملك هٰذَا المال أصلًا، كأن عُلم أنه سرقه أو غصبه؛ فَهٰذَا لا يجوز لأحد أن يأخذه منه.

أما ما عدا ذلك؛ فهنا يُقال: إنَّ إثمه عَلَىٰ مكتسبه، ولا شيء عَلَىٰ من استوفى حقَّه منه، هٰذَا ما يتعلَّق بالحقوق الواجبة، وهو محل السؤال.

السؤال: أحسن الله إليكم! هٰذَا يقول: بأنه نذر بأن يذكر الله كل يومٍ بأعداد معلومة «**الحَمْدُ للهِ**» مائة مرة، فهل عليه أن يوفي بهذا النَّذْر؟

الجواب: أولًا: لا ينبغي للمؤمن أن يضيِّق عَلَىٰ نفسه، أو أن يُلزم نفسه بما لم يلزمه الله به، ولذلك فَالنَّذْر -أعني: الدخول فيه- في أقرب يعني في أيسر ما يُقال فيه: إنه مكروه، والقول بِالتَّحْرِيْمِ قولٌ قويٌّ، ولاسيما في نذر المقابلة.

الشَّاهِد: أنَّ المشروع للمؤمن أن يقبل سعة الله عليه، وألَّا يضيِّق عَلَىٰ نفسه، لكن إذا نذر المسلم نذر طاعة، فإنه يلزمه، ويجب عليه أن يفي به مادام مستطيعًا، فإذا نذر أن يذكر الله بعددٍ معيَّن في كل يوم؛ فإنه يجب عليه أن يذكر الله بهذا العدد من غير اعتقاد أنَّ هٰذَا سنَّة، وَإِنَّمَا من أجل أنه نذره، وهو نذر طاعة، فيلزمه أن يأتي به.

ولو فرضنا أنه عجز عنه -أعني: عجز عن نذر الطَّاعَة الَّذِي نذره- وصار لا يستطيع أن يأتي به؛ فإنه عند ذاك يكفِّر كفارة يمين، لينحل بذلك نذره، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ**»، فإذا نذر طاعة فإنه يلزمه، لكن في مثل هٰذَا الَّذِي ذكره الأخ لا يعتقد الإنسان أنَّ هٰذَا سنة، وَإِنَّمَا يلتزمه من باب النَّذْر، وأنه قد نذره.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يفقهنا في دينه، وأن يتقبل منَّا أَجْمَعِيْنَ، وأن يجعلنا من عباده الصَّالِحِيْنَ، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، وأن يجعل الموت راحةً لنا من كل شر، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.